الفصل السادس

أبواب القدس والحرم الشريف

دينا العشري

تعتبر مدينة القدس من أهم المدن التاريخية التي توافد عليها العديد من الغزاة والفاتحين، بمطامعهم السياسية، وهذا ما كان يجعل كل من ينزل بها يقيم سورًا حول المدينة، من هنا كان العديد من الأسوار التي أقيمت حول القدس، وتهدمت أيضًا، بدءًا بأول سور أقامه اليبوسيون، عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد، انتهاءً بالسور الذي أقامه السلطان سليمان القانوني، عام ١٥٤٠ م، حيث احتوى هذا السور على ما يقرب من أحد عشر بابًا حسب بعض الروايات، ولعل ما يثير الانتباه هو أن هناك تفاوتًا بين تعداد الباحثين للأبواب الموجودة في السور، وهذا ما سنحاول معرفته من خلال هذه الدراسة.

التسلسل التاريخي لبناء سور القدس

يمثل سور القدس أحد أهم الأبنية الضخمة، أقامه المستعمرون حول مدينة القدس، ويقع السور حول الحرم الشريف، الذي يقع هو الأخير في الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة القدس، ويشترك سور الحرم من جهة الشرق والجنوب مع سور المدينة القديمة، ويعود بناؤه إلى عهد اليبوسيين[1].

يتبين لنا، من خلال العديد من الدراسات أن مدينة القدس لم يحط بها سور واحد، بل تعددت الأسوار حول المدينة، والحرم الشريف.

ـ السور الأول

بُني السور الأول للقدس في عهد اليبوسيين، الذين دخلوا القدس، وراودتهم فكرة بناء سور حول المدينة،

ليحتموا به، وكان هذا البناء في عام ٢٥٠٠ ق.م، وأقاموا فيه ستين برجًا، وامتد السور حتى شمل الأحياء الغربية للبلدة القديمة (باب الخليل، وحي الأرمن، وحي النبي داود)، إلى أن وصل إلى التلال الواقعة شرقي الحرم، وظل هذا السور قائمًا أكثر من ١٧١٠ أعوام، إلى أن قام يهوأش بن يهو احاز، ملك إسرائيل بتخريب جانب منه، عام ٧٩٠ق.م[٢].

ـ السور الثاني

أعاد الملك «منه» ترميم جزء من السور بعد الاحتلال الآشوري، عام ٦٤٤ق.م، وقد ضم السور، في ذلك الوقت، العديد من الأحياء التي أنشئت في العهد اليبوسي، ولا تزال بعض هذه الأحياء حتى الآن (حارة النصارى، وغيرها...)، كما كان يقام على هذا السور أربعة عشر برجًا، وبالرغم من هذا، فإن السور لم يبق على حاله، فبمجرد احتلال الملك نبوخذ نصَّر للقدس، بعد الملك منه قام بهدم جزء من هذا السور، أيضًا، وذلك عام ٥٨٦٠ق.م.

ظل السور الثاني يتعرض للعديد من عمليات الهدم والترميم لبعض أجزائه من قبل الحكام الجدد، حتى قام الملك نحاميا، في زمن الفرس، ببناء ما تهدم من السور، وكان ذلك عام ٤٤٠ق.م. حيث كان السور يحيط بجبلي صهيون، وموريا، من الشرق، وقام نحاميا، ببناء هذا الجزء ليلًا؛ لأنه كان يخشى من الحورونيين، والعمونيين، الذين كانوا يقطنون البلاد المجاورة للقدس، لكونهم غير راضين عن هذا المشروع، وقاوموه غير مرة، كما أن يهود القدس كانوا يخشون منهم، أيضًا، ولولا وجود حراب الفرس، التي كانت تحمي اليهود، لما تم بناء السور، في ذلك التوقيت[٣].

ما أن احتل بطليموس الأول القدس حتى قام بهدم جزء آخر من السور الثاني، عام ١٦٨ ق.م. وتوالى بعد ذلك الفاتحون، الذين حاولوا بناء الأجزاء المهدَّمة من السور، وكان منهم الفاتح الروماني بومبيوس، عام ٦٣ ق.م. وقيل إنه هدم باقي السور الثاني، لكن بعض الروايات تذكر أن بعض أجزاء السور قد بقيت حتى عهد هيرودوس، الملك الذي أضاف إلى السور بعض الأبراج، التي يتوسطها قصره، والذي يقع في المنطقة التي يقام عليها الآن كنيسة المسيح، وثكنة البوليس، ودير ماريعقوب[٤].

ـ السور الثالث[٥]

جاء العهد الروماني، وشرع اليهود في بناء سور جديد، حول القدس، بدلًا من السور الذي تهدم بفعل الفاتحين، فقام الحاكم هيرودوس أغريباس، عامي ٣٧ ـ ٤٤ ميلادية، بمحاولة بناء سور جديد، إلا أن الإمبراطور الروماني قلوديوس منعه عن هذا العمل، وظل اليهود آنذاك ينتظرون الفرصة التي تسمح لهم ببناء سور جديد، أكثر من ٢٦ عامًا، إلى أن جاءت الفرصة لهم أثناء حصار تيطس للمدينة، عام ٧٠ م، وقاموا بعملية البناء، حيث اختلف هذا السور عن سابقيه في أنه ضم بداخله أحياء جديدة، بالإضافة إلى الأحياء القديمة، ومن هذه الأحياء، الحي الذي يحيط بمدارس الفرير، عند الباب الجديد، وقبور السلاطين، وكان لهذا السور تسعون برجًا، ولكن تيطس لم يترك السور على حاله، بل قام بهدم جزء منه، أيضًا، وفي عام ١٣٥م، قام الملك أدريانوس بهدم الجزء الآخر من السور.

ظل هذا الوضع إلى ما يقرب من ٣٠٠ عام، حتى جاءت الملكة أفدوكيا، زوجة الملك تيودويسوس ٤٣٨ ـ ٤٤٣م، وقامت ببناء سور جديد حول المدينة، وأدخلت قرية سلوان ضمن السور، ولم يدم السور كثيرًا، كما هو

الحال دائمًا، حيث دك الفرس هذا السور، عام ٦١٤م. إلى أن جاء صلاح الدين الأيوبي، وفتح مدينة القدس، عام ١١٨٧م، وأعاد بناء السور، وحفر خندقًا حول السور، وكان يشرف على بنائه بنفسه، واستخدم صلاح الدين العديد من الفرنجة في بناء السور الكبير، وفي عام ١٢١٩م، تولى الملك المعظم عيسى الأيوبي حكم المدينة المقدسة، وبالطبع قام هو الآخر بهدم جزء كبير من السور القائم حول المدينة، ولم يكتف بذلك، بل هدم كل الأبراج التي أقامها صلاح الدين، وكانت ذريعته في ذلك أنه يخشى من أن يستولي عليها الفرنجة.

عندما أراد المسلمون؛ بعد ذلك، بناء السور جرت مفاوضات طويلة متقطعة، بينهم وبين الصليبيين، حتى تمت الهدنة بينهم، عام ١٢٢١م، واشترط الصليبيون، لإتمام هذه الهدنة، أن يدفع المسلمون خمسمائة ألف دينار، ليستطيعوا إعادة بناء السور، إلا أن المسلمين رفضوا هذا الشرط، مما أدى إلى اشتعال القتال بين الطرفين، وبعد سبع سنوات من القتال بين المسلمين والصليبيين توصل الملك الكامل إلى عقد هدنة مع الإمبراطور فردريك، عام ١٢٢٨م، إلا أن شروطها كانت قاسية على المسلمين، حيث إن الإمبراطور اشترط تسليم القدس للفرنجة، بعد تعميره، فرد الملك الكامل على ذلك بأنه لم يقم بتعمير السور، وظل الأمر على حاله، إلى أن جاء الملك العادل زين الدين ، عام ١٢٩٥م، وقام بترميم جزء من السور.

كما تم ترميم جزء آخر من السور في عهد الملك المنصور، عام ١٣٣٠م، الأمر الذي أكدته الكتابات التي لا تزال منقوشة على جدران السور، وكان آخر تعمير لهذا السور في عهد السلطان سليمان القانوني، عام ١٥٤٠م، وقد ذكر عن هذا السلطان أنه قام بقطع رأس المهندس الذي عمَّر السور، وذلك لكونه لم يدخل في البناء مقام النبي داود[٦]، وظل السور بعد الملك سليمان على حاله، ولم يأت أحد بعده لكي يرمم أي جزء من أجزائه.

وصف السور

مثلت الأسوار التي أقيمت حول القدس سدًّا منيعًا أمام العديد من الغزاة، حيث إنه تميز بصلابة وطول شاهق، إلا أن هناك اختلافات في سماكة السور، وارتفاعه من مكان لآخر، ذلك نتيجة لاختلاف التضاريس الطبيعية للأرض، حيث بلغ ارتفاعه في بعض الأماكن أكثر من ثلاثين مترًا، وزاد سمكه في معظم الحالات على مترين، حتى يتمكن الحرس من السير والتنقل فوقه بسهولة، ويعلو الأسوار شراشيف حجرية، وتبرز من جدرانه السقاطات، بالإضافة إلى طاقات مستطيلة في الجزء العلوي من السور، لكي يستخدمها الحرس في توجيه البنادق منها، وتبرز من خارج السور، في بعض الأماكن، شبابيك تشبه المشربيات الإسلامية، وبها فتحات رفيعة للحراسة، تتسع من الداخل حتى يستطيعوا توجيه البنادق منها.

يتبين لنا مما سبق، أن السور تم بناؤه بأحجار مختلفة الحجم، حيث أنشئت الجدران من الأحجار الضخمة، أما المداميك العلوية فتم بناؤها من أحجار أقل حجمًا، واستخدمت المونة الجيرية في لحاماتها، مما جعل البناء أكثر قوة وصلابة، وينفتح في السور أبواب المدينة، وتدعمها الأبراج الصغيرة، في بعض جهاتها[٧].

كما أن معظم بوابات القدس مصنوعة من الخشب الفاسي، المصفَّح بالصاج، ما عدا باب الساهرة، وباب الحديد، اللذين تم تجديدهما بأبواب حديدية، في عهد الانتداب البريطاني (١٩٢٠ ـ ١٩٤٨).

مراحل هدم وترميم أسوار القدس

تعرضت أسوار القدس للهدم والتخريب أكثر من مرة، بل يُذكر في العديد من الروايات أن القدس وأسوارها تعرضت للهدم والترميم أكثر من سبع عشرة مرة، وكان بدايتها في عام ٥٨٧ ق.م. عندما حاصر الملك نبوخذ نصَّر المدينة، وقام اليهود من خارج القدس بتهريب اليهود الموجودين داخل المدينة عن طريق فتح جانب من السور، ليهربوا منه مع ملكهم، إلا أن الكلدانيين ألقوا القبض على الملك، وابنه وأتوا بهما إلى نبوخذ نصَّر، الذي قام بقتل الابن، وفقأ عين الملك، وأرسله إلى بابل، ثم دمَّر الهيكل، وهدم أسوار القدس.

في عام ١٦٣٠ ق.م حاصر أنطونيوس الخامس القدس، مع حوالي ١٢ ألفًا من الجيش اليوناني، وقام بهدم أسوار القدس، مرة ثانية، وكذلك الحال عام ٦٣ ق.م عندما جاء بومبيوس الروماني من سوريا، وحاصر القدس لمدة ثلاثة أشهر، ثم قام بهدم أسوارها، مستخدمًا المجانيق، حتى أحدث ثقوبًا بها.

في عام ١٨ ق.م أتى هيرود، الأرمي الأصل، واعتنق الديانة اليهودية، وخرج على المكابيين، انتقامًا لأبيه، الذي مثل به هؤلاء، وذهب إلى الرومان، فنصَّبوه ملكًا على فلسطين، فقام بترميم الهيكل، حتى يرضي الشعب الذي كان يحبه، ويذكر بعض اليهود أن جزءًا من الحرم الشريف الحالي (حائط البراق)، قد بني في عهد الملك هيرود؛ لأنه كان يستخدم الأحجار الكبيرة في ترميم الأسوار، وهذا ما تم إثباته من خلال الحفريات الإسرائيلية المعاصرة[٨].

بالرغم من هذا البناء المنيع، فإنه دمر بعد أن جاء تيطس الروماني مع ٨٠ ألف جندي من الجيش الروماني، وقام بدك أسوار القدس عام ٧٠م، مستخدمًا في ذلك الأبراج المتحركة، والمقاليع، وقام بحفر الخنادق أسفل السور، حتى يسهل عليه تدميره، إلا أنه فوجئ بوجود سور آخر داخل السور الخارجي، والذي أقامه اليهود. إلا أن تيطس قام بهدمه هو الآخر بعد أن تخلص من السور الخارجي.

ثم جاء هدريان، عام ١٣٥م، فدمَّر آثار الهيكل بكامله، وقام باستخدام الأحجار الكبيرة، التي حصل عليها بعد عملية الهدم، حتى يعيد استعمالها في بناء السور، مرة أخرى، من هنا نلاحظ أن أسوار القدس تعرضت للهدم والترميم أكثر من مرة، حتى جاء السلطان العثماني سليمان القانوني، عام ١٥٤٠م، وأعاد بناء السور، الذي بلغ محيطه أربعة كيلومترات، وله سبعة أبواب، منذ تلك اللحظة بقي السور شامخًا، يتصدى لجميع عوامل التلف والانهيار، إلا في بعض المناطق المحدودة، التي تتطلب الترميم حتى يستمر هذا الأثر العظيم موجودًا[٩].

التسلسل التاريخي لبناء بوابات القدس

تعددت بوابات القدس، مما أدى إلى الخلط في روايات الباحثين حول عدد الأبواب الموجودة بسور القدس، ويرجع هذا إلى كثرة عمليات الهدم والتدمير التي تعرضت لها أسوار المدينة المقدسة، من ثَم نجد أن بعض الروايات تؤكد وجود ثلاثة عشر بابًا، وبعضها يقول إنهم خمسة عشر، وروايات أخرى تؤكد وجود سبعة أبواب فقط.

ـ وصف باب القدس

يتكون الباب من مدخل ذي عقد، وله مصراعان خشبيان مصفحان، يؤدي مدخله إلى دركاة، فيها غرفة صغيرة، تغطيها قبوة مروحية، كما تؤدي الدركاة إلى مدخل ثانٍ، يمتد إلى داخل السور[١٠].

أبواب القدس والحرم الشريف

١ ـ باب العمود

يقع باب العمود، أو كما يسميه الأجانب «باب دمشق»، في منتصف الحائط الشمالي لسور القدس، ويرجع هذا الباب إلى عهد السلطان سليمان القانوني، ويعلو هذا الباب قوس مستدير، قائم بين برجين، ويؤدي إلى ممر متعرج داخل المدينة، وقد أقيم هذا الباب على أنقاض باب يرجع إلى العهد الصليبي، وهذا ما تم اكتشافه أثناء حفريات سنتي ١٩٣٦، ١٩٦٦، حيث وجدت بقايا بابين، يعود أحدهما إلى زمن الإمبراطور هادرويانوس، ويرجع الثاني إلى زمن الإمبراطور هيرودوس أغريباس، في منتصف القرن الأول الميلادي.

يتكون باب العمود من مدخل، وعقد، يقوم فوقه برج محمول، ويرتكز الباب على دعامتين من الحجارة القديمة المنحوتة والمزوَّدة بإطار أنعم نحتًا، والباب من الخشب المصفَّح بالنحاس، ذو مصراعين، يؤدي إلى دركاة مغطاة بقبوة مروحية الشكل، ثم يلي ذلك دهليز منكسر يصل إلى داخل السور، وهو مغطى بقبوة متقاطعة.

لقد أضيف عمود داخل الباب، في زمن الإمبراطور هادريانوس، ويظهر العمود في خريطة الفسيفساء التي عثر عليها في الكنيسة البيزنطية، وبقي هذا العمود حتى الفتح الإسلامي؛ ولذلك سمى العرب الباب «باب العمود»، وكان يدعى من قبل «باب دمشق»؛ لأنه مخرج القوافل إليها[١١].

٢ ـ باب الساهرة

يقع باب الساهرة في الجزء الشمالي من سور القدس، على بُعد نصف كيلومتر من شرقي باب العمود، وهو بناء بسيط، أقيم ضمن برج مربع، ويعود تاريخ هذا الباب إلى عهد السلطان سليمان العثماني، عام ١٥٣٧م، ويطلق عليه الغربيون اسم «باب هيرودوس»[١٢].

٣ ـ باب الأسباط

يقع باب الأسباط في الجزء الشرقي لسور القدس، ويطلق الغربيون عليه اسم باب القديس «أسطفان»، ويشبه بابُ الأسباط بابَ الساهرة في شكله، ويرجع تاريخه إلى السلطان سليمان العثماني أيضًا، كما يختلف هذا الباب عن باب الأسباط، الذي يوجد في الجزء الشمالي من سور الحرم الشريف، والذي ورد اسمه في جميع المصادر التاريخية، وبالتحديد عام ١٢٣٢م، الذي بناه الظاهر بيبرس، وهذا ما يتضح من وجود أسدين قائمين على جانبي الباب، وأطلق عليه الصليبيون اسم باب «سانت أتين»، أو «ست مريم»، ويتمثل الباب على هيئة عقد حجري مدبب، متوسط الحجم، يؤدي إلى ردهة مغطاة بقبو متقاطع، ويفتح الباب على الحرم بعقد حجري مدبب، مماثل للعقد الخارجي، وله مئذنة في حجم السورين باب الحطّة، وباب الأسباط، وهو الباب الذي يدخل إليه جميع الآتين من خارج المدينة نفسها، ويغلق الباب بعد صلاة المغرب[١٣].

٤ ـ باب المغاربة

يقع باب المغاربة فى الحائط الجنوبي لسور القدس، ويعتبر هذا الباب أصغر أبواب القدس، وآخرها من الناحية

الغربية، وهو عبارة عن قوس قائم، ضمن برج مربع، ويعرف هذا الباب عند «المقدسي» باسم «باب النبي»، أو «باب البراق»، وظل يعرف بهذا الاسم حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وتعود تسميته باسم باب المغاربة إلى أنه يجاور جامع المغاربة، ونهاية هذا الباب عند حارة المغاربة أيضًا، وقد تم تجديد هذا الباب كلية في عهد السلطان المملوكي، الناصر محمد بن قلاوون، ولهذا الباب أهمية خاصة بالنسبة للسلاطين والمماليك الذين احتلوا القدس؛ وذلك نتيجة لصغر حجمه، خاصة بعد إزاحتهم للخطر الصليبي عن الشام، فلم تعد ضخامة الأبواب شيئًا مهمًا بالنسبة لهم.

يتكون الباب من عقد حجري مدبب، بسيط البناء، ومتوسط الارتفاع، وله باب من مصراعين خشبيين يغلقان عليه، بالإضافة إلى أن بعض الروايات ذكَرت أن «باب النبي»، أو «باب البراق»، أو «باب صهيون»، هو عبارة عن باب كبير مفتوح، يؤدي إلى ساحة داخل السور، وتم إنشاؤه في عهد السلطان سليمان العثماني، عندما أعاد بناء سور المدينة، ١٥٤٠م[١٤].

٥ ـ باب الحديد

يعتبر باب الحديد من الأبواب جديدة العهد لسور القدس، حيث أنشئ عام ١٨٩٨م، ويقع في الجانب الشمالي للسور، على مسافة كيلومتر تقريبًا غرب باب العمود، وليس لهذا الباب دركاة، أو غرف، ويذكر بعض الباحثين أن باب الحديد قد شُيِّد كما لو كان يخص منشأة تجارية مملوكية[١٥].

٦ ـ باب الخليل

يقع باب الخليل، أو كما يسميه الغربيون «باب يافا»، أو «باب لحم»، في الحائط الغربي لسور القدس، وقد قام بتجديد هذا الباب السلطان العثماني، عام ١٥٨٣م، وأهم معلم يقع في باب الخليل الآن هو قلعة «داود»، التي تقع تحت سيطرة الإسرائيليين، كما يتميز هذا الباب بوجود مقهى معلق، أطلق عليه المربي الفلسطيني الراحل خليل السكاكيني (قهوة الصعاليك)، التي كانت مكانًا لتجمع الكُتاب، والأدباء، والمثقفين، وكذلك الفلاحين العرب الفلسطينيين[١٦].

إلى ذلك فثمة عدة أبواب لسور الحرم الشريف منها:

١ ـ باب السلسلة وباب السكينة

يقع هذان البابان في السور الغربي للحرم الشريف، وهما متجاوران، ومن أبواب الحرم القديمة، ويعرف «باب السكينة» بباب السحرة، وكذلك بالباب المغلق؛ لأنه مغلق، ولم يفتح، كما كان يعرف هذا الباب في نهاية القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، باسم«باب داود»، أو «الباب المفتوح»، أما «باب السلسلة»، فيقع شمالي باب السكينة، وسمي بهذا الاسم لأنه يقع على مقربة من قبة السلسلة، وأعيد بناء هذا الباب في العصر الأيوبي، وبالتحديد بعد استرداد صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس، ويتشابه البابان في أن لكل منهما مدخلًا شاهقًا على هيئة عقد مدبب من صنجات حجرية معشقة، ويرتكز عقد المدخلين على دعامات حجرية من الخارج.

أما في الداخل، فثمة زوجان من الأعمدة في كل جانب موضوعان فوق بعضهما البعض، ويغلق على كل مدخل مصراعان من الخشب السميك، ويوجد باب صغير يعرف باسم خَوْخة»، وهو عبارة عن فتحة صغيرة، تكفي لدخول شخص واحد عند إغلاق الباب الكبير[١٧].

٢ـ باب الناظر

يعتبر باب الناظر من أبواب الحرم القديمة، وبالتحديد في السور الغربي للحرم، وكان يعرف في السابق بباب مخائيل، ثم باب علاء الدين البصير، وذلك لمجاورته لرباطه، وعندما قام الأتراك العثمانيون بتحويل هذا الباب إلى حبس، عرف باسم باب الحبس، ثم توالت الأحداث، وعرف بباب الناظر، وباب «المجلس الإسلامي الأعلى»، وهذا الباب من إنشاء الملك المعظم عيسى الأيوبي، في عام ٦٠٠هـ ـ ١٢٠٣م؛ واجهته عبارة عن عقد حجري مدبب، وعقدين جانبيين داخل الباب، حتى يصلا بين عقدي الواجهة والداخل، وللباب مصراعان من الخشب المصفح بالنحاس[١٨].

٣ـ باب العتم

هذا الباب، أيضًا، من الأبواب القديمة للحرم، ويقع في السور الشمالي للحرم، وكان يسمى «باب شرف الأنبياء»، وباب «الدوادرية» وتم تجديده على يد الملك المعظم عيسى الأيوبي، عام ١٢١٣م، كما يتشابه «باب العتم» مع «باب الناظر» في هيئته وتكوينه، حيث يبدو على شكل عقد حجري مدبب متين البناء، وفتحت خَوْخة في أحد المصراعين الخشبيين، وتكفي الخوخة لمرور شخص واحد عند إغلاق الباب الكبير[١٩].

٤ـ باب الحطة

يقع باب الحطة في الجزء الشمالي من سور الحرم الشريف، وهو من أقدم الأبواب في سور الحرم، حيث يذكر أن ناصري خسرو قال إن هذا الباب هو الباب الذي أمر الله (عز وجل) بنى إسرائيل بالدخول منه إلى الحرم، وهذا ما ورد ذكره في القرآن الكريم (سورة البقرة)، وأعيد بناء هذا الباب في عام ١٢٢٠م، أي خلال فترة حكم الملك عيسى الأيوبي، ويوصف الباب بأنه عبارة عن مدخل حجري، معقود بعقد مدبب، على جانبيه مكسلتان حجريتان، وفرشت أرضُه بالأحجار التي تمتد إلى داخل الحرم، وغطيت المسافة بين جانبي المدخل بأقبية متقاطعة، ولهذا الباب مصراعان من الخشب القوي، يتم من خلالهما إغلاق الباب[٢٠].

٥ـ باب المطهرة

يعتبر «باب المطهرة» كغيره من أبواب الحرم القديمة، والذي يقع في السور الغربي للحرم، وعرف هذا الباب عند العرب باسم «باب المتوضأ»، حتى عام ١٨٩٠م، وجدد خلال العصر المملوكي، ثم جدد مرة أخرى على يد الأمير علاء الدين البصير، عام ١٢٦٦م، في عهد السلطان المملوكي، الظاهر بيبرس البندقداري.

يتميز هذا الباب عن غيره من أبواب الحرم الشريف في كونه صغير الحجم، حيث يبدو على هيئة مدخل على جانبيه عمودان رخاميان، يحملان عقدًا مدببًا، وبه صنجات معشَّقة على هيئة مخدات متلاصقة، ويؤدي الباب إلى

ممر مكشوف، يسبق المطهرة، ويعتبر هذا البناء من أكثر الأبواب روعة، لكونه مكشوفًا لتوفير الإضاءة، والتهوية للمطهرة[٢١].

٦ ـ باب الغوانمة

يقع باب الغوانمة في نهاية الجهة الغربية من الناحية الشمالية لسور الحرم القدسي، وعرف قديمًا باسم «باب الخليل»، وقد ذكره المقدسي «بباب الوليد»، إلا أن مجير الدين الحنبلي أشار إليه باسم «باب الغوانمة»؛ وذلك لكونه ينتهي إلى حارة بني غانم، وأعيد بناء هذا الباب في العصر الأيوبي، ثم تم تجديده في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وذلك عام ١٣٠٨م[٢٢].

أبواب القدس المغلقة

بالرغم من وجود العديد من الأبواب داخل سور القدس والحرم الشريف، من أجل استعمالها في جميع الأغراض، فإن مجموعة من هذه الأبواب مغلقة، ولا تزال، وقد تم إغلاقها، عمدًا، بسبب انتشار العديد من الخرافات.

١ ـ باب الرحمة

هو من أهم وأجمل الأبواب المغلقة في سور القدس، وعرف هذا الباب عند الأجانب بالباب الذهبي، حيث يقع على بُعد ٢٠٠م جنوبي باب الأسباط، في الحائط الشرقي لسور القدس، ويرجع بناء هذا الباب إلى العصر الأموي، وهو عبارة عن باب مزدوج، يعلوه قوسان، يؤدي إلى باحة مسقوفة، مغطاة بعقود ذات أقواس قائمة فوق أعمدة ذات تيجان كورنيشية ضخمة، ويعتبر هذا الباب من أجمل أبواب المدينة، حيث يؤدي مباشرة إلى الحرم الشريف، وقد تم إغلاق هذا الباب، في زمن العثمانيين، بعد أن سادت خرافة بين الناس، مؤداها أن الفرنجة سيعودون، ليحتلوا المدينة المقدسة، عن طريق هذا الباب[٢٣].

لم يكن باب الرحمة هو الباب الوحيد الذي تم إغلاقه، بل ثمة ثلاثة أبواب أخرى أغلقت، وتوجد جميعها في الحائط الجنوبي للسور، وتؤدي مباشرة إلى مدخل الحرم الشريف، وهذه الأبواب هي[٢٤]:

١ ـ الباب الواحد

هو أول هذه الأبواب الثلاثة الموجودة في الزاوية الجنوبية الشرقية للسور، ويقع هذا الباب في زاوية السور، ويعلو هذا الباب قوس.

٢ ـ الباب المثلث

يتألف هذا الباب من ثلاثة أبواب، يعلو كل منها قوس.

٣ ـ الباب المزدوج أو المدرج

يتألف هذا الباب من بابين، يعلو كل منهما سور، وتشير الأدلة إلى أنه بني مع المسجد الأقصى، في أيام الدولة

الأيوبية؛ وهذه الأبواب جميعها تم إنشاؤها في العهد الأموي، وبالتحديد أيام الخليفة عبد الملك بن مروان، خلال بنائه لقبَّة الصخرة، وهذه الأبواب جميعها تم إغلاقها[٢٥].

بوابات القدس وعلاقاتها بالأنبياء

ربط المسلمون بعض الأبنية المقدسة في القدس والحرم الشريف، وخاصة البوابات، بتاريخ الأنبياء، ومن ثم بدأوا يقدسون هذه الأبنية، ويبجلونها، ومن هذه الأبنية قبة السلسلة، التي تقع شرقي قبَّة الصخرة، ويذكر أن هذا كان المكان الذي يصدر الملك «داود»، عليه السلام، منه أحكامه على بني إسرائيل، وأنه كان يستخدم سلسلة خاصة من الضوء لها القدرة على كشف الكذب.

أما في نهاية الحرم الشمالي فثمة مقعد لسيدنا سليمان (عليه السلام)، وهذا المكان هو الذي صلى فيه «الملك سليمان»، بعد انتهائه من بناء المعبد.

بالإضافة إلى ذلك، تم ربط بوابات الحرم بتاريخ اليهود، حيث قيل إن اليهود حملوا التابوت، ودخلوا من بوابة الحضور الإلهي، أو كما تسمى باب «الشكيناه»، ثم قاموا بالصلاة طالبين المغفرة، وكان ذلك عند «بوابة التوبة»، المعروفة باسم «باب الحطة»، في يوم كيبور (عيد الغفران)[٢٦].

بيد أن مدينة القدس نفسها (أورشليم)، والتي يسمونها مدينة «عيسى»، وهي التي ذكر فيها ولادة «عيسى»، ومراحل طفولته، في القرآن الكريم، وكذلك ما تعرضت له السيدة مريم من اضطهاد، إلى أن رعاها زكريا (عليه السلام)، والمعجزات التي أحاطت بها، مثل الطعام الذي كانت ترزق به، وطفلها الذي تكلم في المهد، وحيث كانت تعتبر آية من آيات نبوته، كل هذا جعل الكثير من زوار القدس يؤدون الصلاة عند موضع معجزة زكريا، في الركن الشمالي الشرقي من الدكة، إلى جانب الضريحين الصغيرين في الأقبية الواقعة أسفل الدكة، والتي كانت، في السابق، محراب مريم، ومهد عيسى.

كما يطل الزائرون من المتراس على وادي جهنم، وجبل الزيتون، المكان الذي يتوقع أن يكون هو الذي سيبعث ويحاسب فيه البشر، ومن هذا المنطلق أطلقوا على الباب الذهبي الموجود في الحائط الشرقي للحرم «باب الرحمة»؛ لأنهم يعتقدون أن الصراط الذي سيعبره الناس، ويحدد من رضيَ الله عنهم ومن حلت عليهم اللعنة، كما هو موجود في القرآن الكريم، في هذا الباب.

أضف إلى ذلك، ما قيل عن الحرم، باعتباره المكان الذي ستصبح الجنَّة فيه، بعد الحساب، أما الجحيم فسيكون مكانه في وادي جهنم، وهذا ما جعل المتصوفين ينشئون غرفًا فوق بوابة الحرم، تلحق بها مسجدًا، حتى يمكنهم تأمل النهاية القادمة[٢٧].

بالرغم من عرض العديد من أبواب القدس والحرم الشريف، فإننا لا نستطيع الوقوف على عدد حقيقي أو محدد لهذه الأبواب، وذلك نتيجة لوجود آثار أبواب قديمة تحت الأبواب الموجودة حاليًا، تعود إلى زمن بعيد؛ لذا يصعب معرفة العدد الحقيقي لهذه الأبواب، وهذا ما خلق تناقضات في العديد من الروايات حول هذا الموضوع.

تناقضات المؤرخين حول عدد أبواب القدس

أسباب أولية لوجود التناقضات

لم يستطع أي من المؤرخين التوصل إلى عدد، أو مسمى حقيقي وواضح لجميع أبواب القدس والحرم الشريف، حيث إن ما عثر عليه من آثار بوابات قديمة تحت البوابات الحالية يؤكد وجود أبواب أخرى قديمة، ترجع إلى عهود سابقة، ويلاحظ أن ذلك يرجع إلى تزايد عدد السكان باستمرار في مدينة القدس، ومن ثَم لم تستطع المدينة استيعاب العدد الكبير من السكان، أو المباني، داخل السور فتم انتشار البناء خارج السور، في جميع الجهات، وهذا ما جعل أحياء كثيرة تظهر، وهى التي عرفت، بعد ذلك، بالقدس الجديدة، إلى جانب الضواحي، التي التحقت بالمدينة، والتي كانت في السابق مجرد قرى صغيرة تابعة لها[٢٨].

نتيجة للتغيرات الطبوغرافية التي طرأت على عمارة القدس والحرم الشريف، سواء كانت بفعل الطبيعة منذ الأزل، أو بفعل العوامل البشرية، أي ما قام به الملوك والسلاطين الذين توافدوا على مدينة القدس، وقيامهم بهدم أسوارها، خاصة خلال احتلال الفرنجة، الذي خرَّب المدينة بكل ما فيها، كل هذه العوامل مجتمعة أدت، بشكل أو بآخر، إلى وجود تناقضات في أقوال المؤرخين، المسلمين أو غير المسلمين، بشأن عدد ومسميات بوابات القدس، بل نجد أن بعض الروايات تخلط بين سور القدس والحرم الشريف، وتجعله سورًا واحدًا، وبواباتٍ واحدة.

بل نجد أن ثمة تناقضات في عدد البوابات نفسها، فنلاحظ، مثلًا، أن عدد البوابات عند المقدسي ـ الذي زار الحرم في نهاية القرن الثالث الهجري ـ ثلاثة عشر بابًا، وهي: (باب الحطة، بوابتا النبي، محراب مريم، باب الأسباط، باب الهاشميين، بوابة الوليد، بوابة إبراهيم، بوابة أم خالد، بوابة خادو، باب السكينة، باب قبة السلسلة، باب الرحمة، باب البركة). أما الرواية الثانية، فترجع إلى ما قاله الرحالة الفارسي، ناصري خسرو ـ بعدما زار القدس في منتصف القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي ـ من أن سور الحرم الشريف به أحد عشر بابًا هي: (باب داود، باب صقر، باب الأسباط، باب الأبواب، باب الرحمة، باب التوبة، باب النبي، باب العين [سلوان]، باب الحطّة، باب السكينة، وباب يؤدي إلى أماكن الوقود).

فيما تؤكد رواية ثالثة أن للحرم عشرة أبواب، هي: (باب السلسلة، باب السكينة، باب الناظر، باب العتم، باب الحطة، باب الغوانمة، باب المطهرة، باب المغاربة، باب الحديد، باب الأسباط)، بالإضافة إلى وجود رؤية رابعة، أشارت إلى وجود خمسة عشر بابًا في سورالقدس، وترتيبها كالتالي:

ـ من الشرق، الباب الذهبي، وهو مؤلف من بابين: باب التوبة، وباب الرحمة.

ـ ومن الجنوب ثلاثة أبواب، (باب الأسباط، باب المثلث، وباب المضاعف).

ـ أما الغرب فبه (باب المغاربة، باب السلسلة، باب السلام، باب الوضوء أو المتوضأ، باب الحديد، باب القطانين، باب الحبس، باب النذير، باب السرايا، باب الغوانمة).

ـ في الشمال يوجد (باب العم أو باب الفيصل، نسبة للملك فيصل الأول، الذي دخل الحرم من هذا الباب عام ١٩٣٣، باب الأسباط، باب الحطة).

هوامش الفصل السادس:

(١) شوقي شعث (محررًا)، **دراسات في تاريخ وآثار فلسطين**، وقائع الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية، بيروت، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، ١٩٩٨، (انظر: عفيف بهنسي، **المنشآت الأثرية في الحرم الشريف تاريخ إنشائها وتجديدها**، ص ٧٩١).

(٢) عارف باشا العارف، **تاريخ القدس**، القاهرة: دار المعارف، ط ٢، ١٩٩٤، ص ١٧٠.

(٣) **المرجع نفسه**، ص ١٧١.

(٤) المهندس رائف يوسف نجم و(آخرون)، **كنوز القدس**، (عمان)، د.ن، ١٩٨٣، ص ١٧١.

(٥) العارف، **مرجع سبق ذكره**، ص ١٧٢.

(٦) سور القدس: انظر

http://www.palestine.strabon.org/jncs/pm_jerusalem/Gates/ExternalGates_ar.html

(٧) نجم، **مرجع سبق ذكره**، ص ٢٩ ـ ٣٠، ٣٢.

(٨) **المرجع نفسه**.

(٩) شعث، مرجع سبق ذكره، ص ٧٩٠.

(١٠) **المرجع نفسه**، ص ٧٩١.

(١١) يحيي الفرحان، **القدس قصة مدينة**، سلسلة «المدن الفلسطينية»، رقم ٦، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ت. ص ٣٣.

(١٢) **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، الدراسات الخاصة المجلد الرابع بيروت: ١٩٩٠ (انظر: عفيف بهنسي، **العمارة والزخرفة في فلسطين منذ الفتح العربي الإسلامي**، ص ١٢٧).

ـ لمزيد من التفاصيل انظر: بوابات القدس

http://www.palestine.strabon.org/jncs/pm_jerusalem/Gates/ExternalGates_ar.html

(١٣) أحمد الصاوي، **القدس مقدسات لا تمحى وآثار تتحدى**، سلسلة «كتاب القدس» القاهرة: مركز الإعلام العربي، ٢٠٠٣، ص ٥٤.

ـ لمزيد من التفاصيل: بهنسي، **مرجع سبق ذكره**، ص ١٢٨.

(١٤) الصاوي، **مرجع سبق ذكره**، ص ٥٣.

(١٥) الموسوعة الفلسطينية، **مرجع سبق ذكره**، ص ٧٩١.

(١٦) الفرحان، مرجع سبق ذكره، ص ٣٥.

(١٧) **المرجع نفسه**.

(١٨) عرفة عبده علي، **القدس مدينة التاريخ والمقدسات**، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٧، ص٤٦.

ـ بوابات القدس، **مرجع سبق ذكره**.

(١٩) علي، **مرجع سبق ذكره**، ص ٤٧.

ـ الفرحان، **مرجع سبق ذكره**، ص ٣٥.

(٢٠) الصاوي، **مرجع سبق ذكره**، ص ٤٩.

(٢١) **المرجع نفسه**، ص ٥٠، ٥٣.

(٢٢) علي، **مرجع سبق ذكره**، ص٤٧.

(٢٣) أبواب القدس والحرم الشريف: انظر:

http: / /www.merbad.net /vb /showthread.php?t=٢٤١٧

ـ الفرحان، **مرجع سبق ذكره**، ص ٣٦.

ـ الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص٧٩١.

ـ علي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٧.

(٢٤) كارين أرمسترونج، **القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث**، ترجمة: فاطمة نصر، محمد عناني، القاهرة: سطور، ١٩٩٩، ص ٤١٦ـ ٤١٧.

(٢٥) الفرحان، **مرجع سبق ذكره**، ص ٣٧.

(٢٦) الصاوي، **مرجع سبق ذكره**، ص ٤٩.

(٢٧) الموسوعة الفلسطينية، **مرجع سبق ذكره**، ص ١٢٩.

(٢٨) **المرجع نفسه**.

* * *